ماذا يريد الغرب من العالم الإسلامي

ماذا يريد الغرب من العالم الإسلامي

تستطيع وبمنتهى البساطة والوضوح أن تُلخّص أهداف الغرب من العالم الإسلامي في هدفين اثنين لا ثالث لهما ، أولهما: تدمير العقيدة الإسلامية ، وثانيهما: يكمن في استغلال العالم الإسلامي واستعماره، وجعل المسلمين دمية ممسوخة بيد الغرب يتحكّم فيها كيفما يشاء ، وإليك ذلك:

نماذج من التدمير العقائدي:

لقد قام أحد مفكّريهم (مونتغمري واط) ببحث سمّاه بحثاً علمياً ، ويسعى من خلال هذا البحث إلى التوصّل إلى حقيقة القرآن: هل هو كلام الله عزّ وجلّ أم هو من صناعة محمد ﷺ ، وإنما اتّبع هذه الطريقة ، واستعمل هذه المقدّمة من أجل أن يوحي للقارئ بأنه رجل

موضوعي وعلمي ، وأنه لن يتّخذ قراراً مسبقاً ضدّ الإسلام كما هو حال أبناء جلدته ، إلاّ من رحم ربي ، ثم تخبّط في بحث عشوائي مليء بالسقطات العلمية والتفاهات العقلية ، وتوصّل في نهاية المطاف إلى أنّ القرآن من صُنعِ بشر ، مع العلم بأنّ جميع الحقائق العلمية والحقائق القرآنية التي تفيض بالإعجازات اللغوية والبلاغية والعلمية والتاريخية والتشريعية تنطق بصراحة كاملة عن الصانع الذي صنع هذا القرآن وهو الله عزّ وجلّ ، ولكن ذلك الكاتب لا يستطيع أن يُقدم النتيجة المنطقية والعلمية بأنّ القرآن إنما هو كتاب الله يحتوي من المعلومات والحقائق الكونية والإعجازات العلمية وغيرها من المظاهر الإعجازية؛ ما يعجز أهل السماء والأرض جنّاً وإنساً على أن يأتوا بمثله ، وكيف يصل إلى هذه الحقيقة وقد وضع منذ البداية هدفاً يسعى إليه ، وهو تشكيك المسلمين بعقيدتهم أولاً ثم محاربة انتشار الإسلام في دار الغرب ثانياً ، وإنّ من مؤلفات هذا الكاتب كتابه (محمد في مكّة) ﷺ ، ولقد جاء بالفرضية التالية التي يراها عقيدة غير قابلة للنقاش ، والتي تنصّ على أنّ الإسلام مكث في مكّة ثلاثة

عشر عاماً ، ولم يجرؤ على تحريم الربا والخمر خشية من تحامل أهل قريش المشركين على الدعوة الإسلامة الناشئة[1].

لا شكّ أنّ هذه الدعوة دعوة باطلة ، وبطلانها واضح وضوح الشمس ، لأنّ أهل قريش إنما كانوا يعبدون الأوثان ، ولم يكونوا يعبدون الخمر أو الربا ، بل كانوا يشربون الخمر ويتعاطون الربا ، وأما ما يعبدونه ويُقدّسونه ويطوفون حوله ويسجدون له ، وقد ملؤوا الكعبة بثلاثمئة وستين صنماً هي تلك الأوثان التي يُقدّسونها ، فإذا كان منطقاً (واط) منطق سليماً في أنّ رسول الله ﷺ قد انتهج منهج الخوف من قريش ، فخشي أن يُحرّم الخمر والربا خشية أن يصطدم مع قريش ، فهذا الكلام يؤدّي إلى أنه كان في وفاق مع قريش أولاً ، والواقع يؤكّد عكس ذلك تماماً ، والشيء الثاني: لقد هاجم رسول الله ﷺ أقدس أقداسهم وهي الأوثان ، فسفّه دينهم وقذف آلهتهم ووسمها بأنها حجارة لا وزن ولا قيمة لها ، فالعاقل ينظر

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام: للأستاذ عبد العظيم إبراهيم محمد ، ص ٢٦.

في هذه الحالة ما الذي يُثير القرشيين أكثر ، أن يُحرّم عليهم خمراً أو ربا أو أن يشتم صُلب عقيدتهم وآلهتهم مباشرة؟

لا شكّ أنّ الجواب واضح على هذا السؤال ، وأنّ القرآن مليء بالآيات القرآنية المكيّة التي تُسفّه من هذه الأوثان ، وما كان خلاف الوثنيين في قريش وهم الأغلبية العُظمى مع رسول الله ﷺ إلا ناشئة عن هذا السبب ، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[1].

فهل كان الأمر كما ادّعى هذا المستشرق بأنّ رسول الله خشي من أهل قريش لما تحدّاهم في أقدس أقداسهم وهي آلهتهم ذاتها ، وإنه ليتجاهل تجاهلاً واضحاً أنّ القرآن ليس صناعة رسول الله ﷺ بل إنه وحي من الله عزّ وجلّ فلا يُعقل أن يخشى الله من حفنة من الوثنيين ، ولا يخفى أن

---

(١) النجم: ١٩ ـ ٢٣.

أهل قريش حاربوا رسول الله ﷺ وأصحابه القلائل المستضعفين حرباً شعواء قُتِل من قُتِل وعُذّب من عُذّب، ولم يسلم المصطفى ﷺ من أذاهم، والأمثلة على ذلك تفيض بها كتب السيرة النبويّة، ولا يخفى أنهم حين استيأسوا من ذلك جاؤوا إلى عمّه أبي طالب فقالوا له: كُفّ ابن أخيك عنّا ونُحقق له ما أراد إن كان يُريد مالاً أو جاهاً أو منصباً، لا ينسى أحد كلمة الرسول عليه الصلاة والسلام المأثورة حين قال: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه»[1].

وهنا يبدو لك التساؤل التالي: هل أنّ (واط) الذي أخذ يكتب في تحليل الدين الإسلامي قرآناً وسنّة وتحديد شخصية الرسول ﷺ لم يقرأ كتب السيرة، ولم يعلم بهذه الحقائق؟!

ولابدّ من الجواب على هذا التساؤل بأمرين لا ثالث لهما، إما أنه جاهل لا يعلم، وبذلك الوضع لا يحقّ له أن يكتب أساساً، أو أنه يعلم الحقائق ولكنه يتحامق عنها

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ وما بعدها.

عمداً ، نتيجة لهدف بيّته قبل أن يبدأ بالكتابة وهو محاربة الدين الإسلامي ، فإنه لا يخضع عندما يكون هكذا هدفه إلى قواعد المنطق والعلم والمُسلّمات والحقائق التاريخية ، بل إنه يُخضع كل هذه الأمور إلى هدفه ورغبته ، ويتجاهل الكثير الكثير من الحقائق الساطعة كي لا يهتزّ فكره الذي يريد أن يُسوّقه وهو مُستغلّ بذلك جهل القرّاء ، ولا سيما القرّاء الأوربيين الذين لا حظّ لهم من الثقافة الإسلامية ، وكيف يكون لهم حظّ من الثقافة الإسلامية والمسلمون أنفسهم لا حظّ لهم من هذه الثقافة!

ولولا الجهل وقلّة الوعي التي سادت عن الإسلام في داخل الأمة الإسلامية وبخارجها لما تمكّن (واط) وأمثاله من أبناء جلدتنا من التحريف والتزوير واستحماق عقول الناس ، لأنّ كتاباتهم كانت ستواجه مباشرة بالتكذيب لمناقضتها حقائق علمية وتاريخية ناصعة وراسخة في أذهان جميع القرّاء ، ولكن عندما يكون القارئ أرضاً خاوية لا بذر فيها يستطيع من يشاء أن يزرع بذور الشوك والدمار أينما كان وكيفما كان ، ولا ننسى أبداً المنهج الذرائعي الذي يتّبعه علماء الغرب ولا سيما الكثير من

المستشرقين المتحاملين على دين الإسلام ، وأمّا إذا سألت عن المذهب الذرائعي فهو كالتالي :

يجب على الكاتب أن يتبنّى المذهب الذي يُحقق له نفعاً مباشراً ، ولا يتبنّى المذهب الذي يهديه إليه عقله وتحليله العلمي والقواعد المنطقية السليمة ، فإذا كانت مصلحة الكاتب أو أمة الكاتب الغربية في الإسلام فيجب أن يمدح الإسلام دون النظر إلى ماهيّة الإسلام ، ودون إخضاع القرآن والسنّة النبويّة إلى القواعد العلمية وتلمّس الإعجازات ، أمّا إذا كان هدف هذه الأمة الغربية أو هؤلاء الكُتّاب محاربة الإسلام وعداءه ، فما أيسر الأمر بأن يتّخذوا من المحاربة مبدأ وسبيلاً ومنهجاً يتّبعونه ، فلا يخضعون عند ذلك لأي إثباتات عقلية أو أدلة تاريخية أو شيء من هذا القبيل ، وإنّما يسعون من خلال كتاباتهم إلى تحقيق الذريعة التي صنعوا الكتاب من أجلها والتي تنسجم مع مصالحهم ومصالح الدول الغربية مع ضرب الحقيقة العلمية عرض الحائط ، ويتبيّن لك أنه لم يتّبع أسلوباً علمياً في الوصول إلى غاية علمية سليمة ، فما أيسر محاربة القرشيين للربا والخمر مقابل أن يكفّ

رسول الله ﷺ عن المسّ بأقدس ركن من عقيدتهم وهي أوثانهم ، ولو كان الأمر دعوة لمحاربة الخمر والربا لكان الذين اتّبعوه من القرشيين أكثر من الذين حاربوه ، ولكن الأمر مسّ بصلب عقيدتهم وهي الأوثان ، ومن ذلك تقرأ قوله تعالى في سورة ص وهي كما تعلم سورة مكيّة ، أي أنها ضمن فترة الثلاث عشرة سنة التي كان فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام في مكّة ، والتي يتحدّث عنها هذا المستشرق ، فقال عزّ وجلّ:

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[1].

ومن البديهيّات الدينية والنفسية والقانونية أنه لا يُمكن أن تُشرّع أحكاماً تشريعية تُلزم بها الخلائق قبل أن تزرع وتغرس في نفوسهم عقيدة تؤمّن لك الاستجابة لاتّباع هذه القواعد والأحكام ، فكانت الشريعة الإسلامية في العهد المكّي وفي بداية الإسلام تسعى إلى زرع العقيدة الإسلامية

---

(١) ص: ٤ ـ ٧.

والإيمان بأنّ الله واحد لا شريك له ، وبأنّه خالق السموات والأرض ، وأنّ هذه الأوثان إنما هي حجارة لا تنفع ولا تضرّ ولا تستحق أن تُعبد ، وأنّ هناك موتاً وهناك جنّةً وناراً وبعثاً وصراطاً إلى آخر الحقائق العقائدية ، فإذا تمكنت هذه الحقائق العقائديّة ، وترسّخت في الوجدان وفي الضمير والقلوب والعقول ، عند ذلك يبرز دور الأحكام التطبيقيّة التي يجب أن يتعامل بها هؤلاء المعتقدون بالعقيدة السليمة من تحريم خمرٍ وربا وزنى وسفكٍ للدماء وما إلى ذلك ، فلا يمكن أن تحصل على الثمرة إلاّ بعد أن تغرس البذرة ثم بعد ذلك تسقيها وترعاها إلى أن تنمو وتنمو ثم بعد ذلك تنتظر منها الثمرات اليانعة ، وهذا أمر معروف على شتّى الأصعدة العلمية .

نموذج آخر لتحطم العقيدة :

وإنّ محاولاتهم كثيرة بحيث إنه يصعب عليك أن تُحصيها أو تجمعها ، ولكن لابدّ من ذكر أبرزها ، ومن هذه الادّعاءات ادّعاؤهم بأنّ القرآن كلام غير مُعجز وليس بليغاً ، وإذا كان فيه بلاغة فليست بلاغته البلاغة التي يعجز البلغاء والفصحاء والشعراء عن الإتيان بمثلها ، وألّفوا

كتاباً في ذلك أسموه: (الباكورة الشهيّة في الروايات الدينيّة) ولم ينسبوا هذا الكتاب إلى مؤلّف بعينه بل نسبوه إلى عالم من علماء المسلمين في القطر السوري دون أن يذكروا اسمه!!

وبطبيعة الحال هذا يدلّ على الافتراء الواضح ، فإن كان صاحب الدعوة واثقاً من دعواه فيجب عليه أن يعلن اسمه ، ويُدافع عن النظريّة التي توصّل إليها ، أمّا أن يختبئ وراء الكواليس والأستار فهذا أمر واضح في ضعف الدعوة ووقاحتها ، وتجرّئها على الإسلام والمسلمين أولاً ، وعلى العلم أيضاً والحقائق العلمية الناصعة ثانياً.

وقالوا: إنّ هذا القرآن كلامٌ بليغٌ يُمكن لكثير من البلغاء أن يأتوا بمثله ، ولا يحتوي على أي نوع من أنواع الإعجاز!!

وهذا إذا دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ نبي الإسلام ـ والعياذ بالله ـ ليس صادقاً ، لأنّ النبي يجب أن يأتي بمعجزات تُثبت دعواه ليُصدّق الناس أنه مبعوث من لدن الله عزّ وجلّ ، أمّا أن يأتي بكلامٍ بليغٍ طبيعي يستطيع أي شاعر أن يأتي بمثله فهذا لا يُعتبر كتاباً مقدّساً ، ولا يُعتبر

معجزة ، ولا يُصدَّقُ من يدّعيها ويحملها على كاهله .

ومن الحقد الواضح على الإسلام والدين الإسلامي أمّة وعقيدة وقرآناً وسنّة؛ أنهم تكلّفوا مشقّة طباعة هذا الكتاب إلى ثمانية لغات عالمية ، ونشروه في شتّى أصقاع العالم!!

وأقول: إنّ هؤلاء المستشرقين الذين يُحاولون تحطيم الإسلام إنّما هم ورثة للمشركين الأوائل الذين حاربوا رسول الله ﷺ ، وإنّ هذه الدعوة التي يدّعونها هي ذات الدعوة التي ادّعاها أجدادهم المشركون الأوائل ، فنعلم أنهم شكّكوا في القرآن بلاغةً ، وكانوا أفصح العرب ، فتحدّاهم الله عزّ وجلّ أن يأتوا بمثله ، ثم تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، ثم تحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة فقط من مثله ولو كانت من أقصر السور ولم يستطع جميع بلغاء العرب وشعراؤهم أن يأتوا بمثله ، منذ أن نزلت الرسالة المحمّدية إلى الأرض إلى هذا الوقت ، ولو أنّ القرآن فعلاً غير مُعجزٍ من الناحية البلاغيّة فليأتوا بمثله إذاً ، ومن الصعب أن تُقنع رجلاً أعجمياً بإعجاز القرآن بلاغياً لأنه لا يفقه كلمة واحدة من اللغة العربية ، وكان

من اليسير جداً أن يقنع جميع الناطقين باللغة العربية ببلاغة القرآن ، وهذا ما جرى في عهد الرسالة المحمّديّة ، ودخل الناس أفواجاً بعد أن أذعن فصحاء العرب وشعراؤهم إلى إعجاز القرآن البلاغي ، ومن هنا يتبيّن لك الهدف الخسيس الذي يسعى إليه هؤلاء الناس في تحطيم اللغة العربية واعتماد اللهجات المحليّة ، وإبعاد الناس عن الجزالة اللغوية وعن الشعور العربي الفصيح ، كل ذلك لتحقيق هدفٍ واحدٍ ليُبعدوا إحساس الجيل عن بلاغة القرآن وإعجازه ، فحرب اللغة العربية هي حربٌ للقرآن ، وعندما عجز العرب الفصحاء والشعراء عن الإتيان بمثله نسبوا القرآن إلى رجل أعجمي لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة بشكل صحيح من كلمات اللغة العربية!

وأقول لكل مستشرق أو متنطّع: فليأتِ وليُقدّم بين أيدينا سورة واحدة من نسج شعراء الأرض بأسرهم تعادل ما جاء به الله عزّ وجلّ في قرآنه ، والتحدّي مفتوح إلى يوم القيامة ، فما لهم يُؤلّفون الكتب ثم الكتب وملايين الملايين من الصفحات في معاداة القرآن ومُهاجمته ، ولا يستطيعون أن يأتوا بثلاثة أسطر فقط توازي القرآن في

إعجازها فبذلك يُحققون نصرهم ، فعندما أعلن رسول الله ﷺ عن نبوّته في مكّة ، وقدّم نفسه إلى الناس رسولاً من لدن ربّ العالمين ، طالبه المشركون بدليل يُثبت لهم نبوّته بآية ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

ألا يكفيهم دليل القرآن! تلا رسول الله ﷺ هذا الكلام عليهم فقالوا: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2].

إذا كنت تعني بأنّ هذا الكلام هو دليل على نُبوّتك فنحن نقول لك هذا الكلام مما يمكن أن يقوله كل إنسان وبوسعنا أن نقول مثله ، وقد ردّد الله كلامهم ونقل حديثهم لنا فقد قالوا: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ عندئذ تحدّاهم الله ، أو قُل تحدّاهم القرآن فقال لهم:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا

---

(١) العنكبوت: ٥١.
(٢) الأنفال: ٣١.

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وقال لهم أيضاً بأسلوب ثانٍ من التحدّي:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

وهكذا تحدّاهم الله بأسلوب مُقرع، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أنهم عجزوا عن الإتيان بمثله، وعادوا يقولون مرّة إنّ هذا سحر، وتارة يقولون إنه لون فريد من الشعر لا نعرفه، وتارة يقولون إنه كهانة، وأحجموا عن الإتيان بمثل هذا القرآن، فكان هذا هو دليل التجربة والمشاهدة على أن القرآن معجز، وقد قال الله سبحانه وتعالى بعد هذا التحدّي وبعد عجز المشركين عن الإتيان بمثله أو بسورة أو بآيات من مثله، قال الله لرسوله:

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

إذا لم يستجب المشركون لكم ويأتوكم بكلام مثله إذاً فكونوا على يقين أنه ليس كلام بشر، ليس كلام أبرهة، ليس كلام أحد من العرب، ليس كلام ورقة بن نوفل، ليس كلام بحيرا.

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾[2].

وما زال التحدّي قائماً إلى يوم القيامة، ولن يستطيع أيٌّ من المشركين ـ مهما بلغوا من العلم والتفوّق والحضارة والإعجاز البلاغي وما إلى ذلك ـ أن يأتوا بمثل هذا القرآن قط، وخطاب الله عزّ وجلّ بقوله (لَن) إنما يُفيد المنع على سبيل التأبيد.

والآن سأسوق بعون الله تعالى نماذج من الإعجاز البلاغي في القرآن؛ كي أوضّح للقارئ كيف أنّ هؤلاء المستشرقين يستغلّون جهلهُ وبُعده عن تذوّق اللغة العربية:

---

(١) هود: ١٤.

(٢) الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢.

وإليك المثال التالي الذي يتضمّن إعجازاً بلاغياً وهو في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾[1].

ما هي الفائدة من قوله تعالى: (فالق) وماذا تعني كلمة (فالق)؟

كلمة (فالق) باللغة العربية تعني المُقسّم، فلما لم يستعمل عزّ وجلّ كلمة (مُقسّم) أو كلمة مُحطّم أو كلمة مُفتّت أو مُفجّر، وكل هذه الكلمات تُفيد معنى الانقسام، فما هو الشيء الذي عناه الله عزّ وجلّ بكلمة (فالق) بدلاً من أي كلمة مرادفة لها؟

يتّضح ذلك في الأمور التالية:

إنّ كلمة (فالق) تُفيد أنّ الشيء قد انقسم إلى قسمين متساويين تماماً لا يزيد قسم على صاحبه ولا ذرّة واحدة، وأما كلمة (مُقسّم) فإنها لا تُفيد ذلك التناصف، فربما كانت القسمة غير عادلة فهناك قطعة أكبر من القطعة الثانية، وربما يكون التقسيم أيضاً ليس ثنائياً فقد قُسّمت إلى أربعة قطع أو ثلاثة قطع، أما كلمة (فالق) فتُفيد

(١) الأنعام: ٩٥.

القسمة بالسوية تماماً ، وبالإضافة إلى ذلك تُفيد أنه فلقها إلى نصفين لا إلى ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

هذا من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم الذي لا يفهمه المستشرقون ، وللأسف الشديد أصبحنا نحن أبناء الأمة العربية الناطقين بالضاد لا نفهمه!! وهذا لبعدنا عن اللغة العربية ، وإنّ بعدنا عن اللغة هدفٌ مقدّسٌ للغربيين ولأعداء الدين .

وننتقل أيضاً فنقول : وما يضرّ استخدام كلمة (مُفجر)؟

كلمة (مُفجّر) تُفيد أنها انفجرت إلى أجزاء وذرّات متعددة ، ولا يُؤدّي معنى (فالق) هذا شيء ، الآن نُتابع فنرى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ وهنا يتساءل الإنسان ، ما هو الفرق بين الحب والنوى؟

الحبّ هو النوى والنوى هو الحبّ ، كلاهما يُغرس في الأرض ويُستنبت منه النبات ، فلما استعمل الله عزّ وجلّ التكرار ، كان يكفي أن يقول فالق الحبّ أو أن يقول فالق النوى وانتهت القضيّة ، ولكن هذا أيضاً له حكمة بالغة وأي حكمة ، إنّ هناك فرقاً بين الحبّ وبين النوى ، فالحبّ هو الذي يؤكل ، وهو الذي يُغرس في الأرض

والذي يُستنبت منه نبات بعد انفلاقه ، أمّا النوى فهي التي لا تؤكل ولكنها تُغرس في الأرض ليُستنبت منها نبات بعد انفلاقها ، وهذا هو الفرق بين الحبّ والنوى ، وهنا يكمن الإعجاز البلاغي في القرآن في ثلاث كلمات ، فيتّضح لك أنّ هناك ثلاث كلمات متتالية كل كلمة فيهنّ تُعتبر معجزة بلاغيّة ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ .

ولكن هذه المعاني السامية البلاغية الرائعة لا يُمكن للمستشرق أن يستوعبها ، ولا يُمكن لنا أيضاً نحن في هذه الأيام أن نتذوقها إلاّ عن طريق الدرس لبُعدنا عن اللغة العربية وبُعدنا عن القرآن الكريم ، ولن أتكلّم عن الإعجاز العلمي أو الإعجاز الغيبي أو الإعجاز التاريخي أو الإعجاز التشريعي لأنّ المقام ليس لشرح هذه الأمور ، لأنّ هؤلاء المستشرقين تقوّلوا بأنّ القرآن ليس بليغاً أي لا يتمتّع بإعجاز بلاغي ، وأنّ كل إنسان يستطيع أن يصنع قرآناً كما يحلو له من الناحية البلاغية الأدبية ، وثبت من خلال هذه الأمثلة القليلة أنَّ القرآن يفيض بالأمثلة ، وذو أمواج متلاطمة تشمخ بالإعجاز لا حصر لها .

أما الإعجاز العلمي والإعجاز الغيبي فقد أذهل

العلماء ، وسجدت رؤوس المُلحدين مُسبّحة بقولهم سبحان ربنا الأعلى نتيجة لاطلاعهم على أجزاء منها ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] .

ويحسن المقام أن أسرد مثالاً على كل نوع من أنواع الإعجاز ولو مثالاً واحداً كي لا نُقصّر في البحث :

أما الإعجاز العلمي فعليه مئات الأمثلة ، وأسوق مثالاً واحداً وهو في قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[2] .

استعمل القرآن الكريم مفردة (تعرج) ولم يستعمل كلمة (تصعد) أما الفرق بين تعرج وتسعد فهو في أنّ الصعود يكون صعوداً مستقيماً من الأدنى إلى الأعلى ، أما العروج فهو يكون صعوداً أيضاً من الأدنى إلى الأعلى ولكنه صعود متعرّج لا يسلك خطاً مستقيماً موحّداً ، ولقد ثبت علمياً أنه لا يُمكن لجسم من الأجسام أن يخرج خارج الغلاف الجوي ويعبر في طبقات الجو إلاّ أن يصعد

---

(١) فصلت : ٥٣ .

(٢) المعارج : ٤ .

صعوداً متعرّجاً ، فإذا صعد صعوداً مستقيماً احترق على الفور ، وهذا هو المعتمد في إخراج الصواريخ والمراكب الفضائية والأقمار الصناعية وما إلى ذلك ، فلا يُمكن أن تصعد إلاّ صعوداً تعرّجياً ، وهذا نموذج واحد وغيض من فيض من نماذج الإعجاز القرآني.

ومثال على الإعجاز الغيبي قوله عزّ وجلّ:

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾[1].

هذه الآية القرآنية تتضمّن إعجازاً غيبياً وإعجازاً علمياً ، أما قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فقد ثبت أنّ فلسطين ـ وهي التي كانت المعركة تقوم فيها بين الروم والفرس ـ هي أدنى نقطة على سطح الكرة الأرضية على العموم ، وهذا إعجاز علمي لم يُكتشف إلاّ حديثاً ، وأما معرفته ﷺ بأنّ الروم سوف تُغلَب ثم بعد ذلك بمرور بضعة سنين ستعود للانتصار فهو أمر لا يُمكن لأحد أن يتكهّن به ، لأنّ هناك إمبراطوريّتين عظيمتين مُسلّحتين ذات جيوش جرّارة وهما إمبراطوريتا الروم

---

(١) الروم: ٢ ـ ٤.

والفرس ، ولا يُمكن لأحد أن يتكهّن بمصير الحرب التي تقوم بينهما ، ولا يُمكن أن يُحدد الفترة الزمنية التي سيستطيع الروم بموجبها أن يستجمعوا قواهم ويعودوا ليُحققوا هذا النصر ، ومن المعلوم أنّ كلمة (بضع) تزيد عن ثلاثة وتقلّ عن تسعة ، وهكذا كان ، وهذا من الإعجازات الغيبية في القرآن الكريم.

وأما الإعجاز التاريخي فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1].

فالإعجاز التاريخي في هذا هو أنه ثبت أنّ القوم الذين كان يتحدّث عنهم إبراهيم عليه السلام قد مرّوا بمراحل اعتقاديّة ثلاثة ، فقد عبدوا الكواكب مرحلة أولى ، ثم انتقلوا إلى عبادة القمر ، ثم انتقلوا إلى عبادة الشمس، وإنما كُشف هذا عن طريق الحفر والتنقيبات الأثرية والتحليلات العلمية ، فما الذي أدرى محمداً ﷺ بكل هذه

(١) الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨.

الحقائق والاكتشافات التاريخية والتنقيبية والأثرية ، كل ذلك يدلّ على أنّ القرآن مُعجز تاريخاً وأنه من لدن عليمٍ حكيمٍ.

* * *